المستشفيات النقالة في الحرب

ومنشئها الدكتور لاري D. I. Larrey

من الغريب ان الجمهور لا يهتم بالاعمال الطبية التي يقدم عليها رجال الفن في ميادين القتال الدائرة رحاها الآن (١) ولا يكلف نفسهُ البحث عن القواعد الصحية التي وضعوها وجروا عليها لصون كيان القوة المقاتلة المؤلفة من ملايين الرجال من الامراض المهلكة التي يكثر حدوثها في الحروب ويزيد فتكها بالارواح على فتك القنابل اذا اهمل شأنها ولم تقاوم بما هو معروف من الوسائل الهيجينية والطرق العلمية . واغرب من ذلك اذا اتفق لبعضهم وعثر على رسالة او وقع بيده كتاب فيهِ وصف ما يعانيهِ الاطباء في خطوط النار من الاهوال ويعترضهم من الصعوبات والاخطار في خدمة الجرحى والمرضى ونشر شيئاً من الرسلة او الكتاب اعرض القراء عنهُ آسفين على الوقت الذي اضاعهُ . على ان الباحث المستقصي في سبب فشل جيش وانكساره وتقدم جيش وانتصاره يجد ان من اهم عوامل النصر في الحروب تنظيم الاعمال الصحية واتقانها كما يقتضيهِ الفن ويتطلبهُ العلم . ولنا على صحة هذه النظرية شواهد ناطقة فالجيش البريطاني لم يعقد لهُ النصر على الجيش التركي في ميدان العراق العربي الاَّ بعد ما نجحت جمعية الصليب الاحمر في مكافحة الادواء المتفشية في ذلك الاقليم الموبوء وفازت بتطهيرهِ منها وكانت نتيجة اعمالها هذه انها اعادت الى الجيش صحتهُ ونشاطهُ فعاد الى كفاحهِ بهمة لم تكن لهُ قبلاً

وبقاء جيوش تعد بعشرات الملايين من الرجال اربع سنوات او اكثر في ساحات القتال تحت مؤثرات العوامل الجوية والحربية من غير ان تصاب بوباء جارف او يتفشى بينها احد الادواء المعروفة مثل التيفوس والتيفويد والدوسنطاريا والكزاز وغيرها مما يتكاثر عادة في الحروب ذلك من معجزات العلم واقصى ما بلغهُ الفن من الرقي في حسن الوقاية وضروب الدفاع عن صحة الابدان . والذي دعانا الى ذكر ما تقدم رسالة نشرتها المجلة الاميركية في احد اعدادها على اثر رسالة وصلت اليها من طبيب اميركي في ميدان فرنسا وصف فيها الاعمال الطبية وتقدم فن الوقاية

(١) كتبت هذه المقالة قبل عقد الهدنة

والعلاج ولاسيما الجراحة وذكر الاساليب والطرق المتبعة في تضميد الجروح وتنظيفها وسرعة اسعاف الجرحى بكل ما تحتاج اليهِ من الاسعافات عند اول مشاهدة بخلاف ما هو مقرر من القواعد في معظم كتب الدراسة . ولا ريب ان الحرب ساعدت الفن على التقدم وخطت بهِ خطوات واسعة الى الامام في طرق الوقاية والمعالجة كما انها اضرت سير العمران وارجعتهُ القهقرى عشرات من السنين . ونلخص فيما يلي رسالة المجلة ونردفها بنبذة تاريخية عن الرجل الذي وضع طريقة تضميد الجروح وتنظيفها من الشظايا والاجسام الغريبة وتنظيفها مثل احسن الطرق المتبعة الآن واليهِ يرجع الفضل في اختراع النقالة واستخدامها لاجراء الاسعافات الاولية وراء خطوط النار وغير ذلك من القواعد الفنية في معالجة الجرحى

لما كتب نبوليون الكبير وصيتهُ قال فيها اترك مئة الف فرنك للفاضل لاري الذي عرفتهُ من افضل الرجال وهو لا يعني بقولهِ هذا انهُ مستقيم وشريف وشهم فقط بل فاضل بكل ما تنطوي عليهِ هذه الكلمة من المعنى الروماني . واذا وصفنا لاري بجندي فانهُ كان شجاعاً يعول عليهِ واميناً يوثق بكلامهِ او كطبيب فانهُ كان من الاطباء الذي يعطفون على المرضى عطف الام على ابنها ويحملون الجريح على ظهورهم في حين الضرورة . وكان اطباء الجيش الفرنسوي يحبونهُ الى درجة ما بلغها احد قبلهُ من عهد امبروز بري Ambroise Paré وكان من ابرع الجراحين الذين عرفهم نبوليون وقربهم اليهِ . وفي سنة ١٧٩٢ اقترح على الجنرال كوستين انشاء النقالة الطائرة او المستشفى المتنقل لمعالجة جرحى الحرب وراء خطوط النار تفادياً من ضياع فرصة ثمينة لهم لا تعوض عليهم اذا نقلوا الى المستشفيات الثابتة فعرض الجنرال اقتراحهُ على الامير برنكل فاختبر هذا منافعهُ في معركة دتكين Detingen لاول مرة وقد اثرت تأثيراً حسناً في الجيش مما حصل عليهِ من سرعة الاسعاف بسببها . وقيل انها قوت فيهِ الصفات الحربية وحملتهُ على الاقدام والاستبسال . ثم انشأ عربة خفيفة لكنها متينة وضع قواعدها على رقاص وهي قريبة الشبه بالسيارة التي نشاهدها تمرح في شوارع القاهرة ذهاباً وايباباً بالجرحى والمرضى ادخلها لاري في الجيش الفرنسوي لنقل الجرحى الى اقرب مستشفى من خط القتال . وكان يغسل الجرح بمحلول الملح ويترك فيهِ لفافة مشربة منهُ بعد ان

ينزع الفضلات المتجمعة فيهِ ويزيل النسيج الفاسد واذا كان في الجرح شظية او اجسام غريبة ولو كانت غائرة كان يقضي بنزعها وتفريغ الجرح منها . وفي حالة الجروح العفنة والشكوشية كان ينسلها بمحلول لابارك Labarraque وقال بضرورة الدرغنة في الجروح الواسعة والتوسيع الجروح الموخذة ودرغنتها وكان يوصي باجراء عملية البتر عند اول مشاهدة اتضحت فيها الاعراض القاطعة وكان يبتر بالطريقة التي تقضي بالتريث بإنما يبدو على جذع العضو خط الكمود ويقول ان الوقت الذي نصرفهُ بالانتظار لظهور الخط نعرض فيهِ المريض لخطر الموت فحفظ حياتهِ متقدم على كل شيء ولا بأس ان يقضي عمرهُ مقطوع الساق او الساعد بشرط ان يبقى حيًّا وكان بدل الاطلاق والفصد الشائعين في ايامهِ يصف المآكل المغذية الصالحة للمرضى واحياناً يستعمل الانبوب في تغذية الجرحى المصابين بجروح بالفك او العنق وكان سابق زمانهِ بمعرفة اعراض جروح الدماغ فانهُ اكتشف ما يعرف الآن بعلامة الميدان او الكمود على سطح النتوء الحلمي في حالة كسر القاعدة وكان سريعاً في اجراء عملية البتر الى درجة لم يضارعهُ فيها غير افراد قلائل فكان يجري عملية بتر المفصل الحرقفي الفخذي في دقيقتين واجرى عملية بتر مفصل الكتف مع بتر قسم كبير من عظم اللوح لمئة واحدى عشرة اصابة فسبع وتسعون منها شفيت وهي نتيجة مرضية جدًّا لا يحلم بمثلها الجراحون في احدث مستشفيات باريس واميركا ولندن الآن. وهو اول من استعمل مرهم الزئبق على اخمص القدم وغير قسم من اقسام الجسد في داء الزهري واول من نبه الى تصلب الشرايين فيهِ ونشر في القاهرة رسالة مطولة جمع فيها معلوماتهِ عن داء العيون المنتشر فيها (رمد حبيبي) او التراخوما وهذا الداء كان ورد ذكرهُ منذ ٣٤٠٠ سنة في عهد الدرج المعروف باسم Ebers Papyrus وبقي مجهول الذكر كل هذا الوقت الى ان اتيح للاري فذكرهُ وذكر اعراضهُ وقال انهُ من الادواء المعدية . وحسبُ لاري هذا الأثر الحميد الذي يحفظ اسمهُ مقروناً بالفضل والشكر ابد الدهر

ولد سنة ١٧٦٦ في بلدة بودون بفرنسا من ابوين متوسطي الحال ودرس مبادىء العلوم على احد الاساتذة في بودون ولما بلغ الثالثة عشرة من سنهِ ارسل الى خالهِ في تولون ليدرس عليهِ الفن الذي كان يطمح اليهِ وكان خالهُ استاذاً وجراحاً في المستشفى العمومي وعضواً مراسلاً في اكادمية الجراحة الملوكية

في باريس . فنال لاري الشهادة الطبية سنة ١٧٨٧ وسافر الى باريس حيث تعين مساعداً لطبيب جراح في الاسطول واستتم الامر بالانضمام الى البارجة التي تعين فيها وكانت راسية بميناء برست فاضطر لضيق يده ان يسير ماشياً على قدميه من باريس الى برست . وفي طريقه عرج على لاڤال وزار منزل امبرويز پري المتقدم ذكرهُ ومؤسس فن الجراحة في الجيش الفرنسوي وفي حال وصوله الى برست طلب منهُ ان يستعد للامتحان في خمسة ايام فرفض المهنة وطلب ان يمتحن فوراً وقد فاز بالامتحان من غير استعداد ونال شهادة حسنة وترتب على فوزه الباهر واعجاب اللجنة به ان تعين جراحاً للبارجة فيجلانت بدل مساعد وكانت سنهُ ٢١ ولاسباب طرأت لا محل لذكرها لم تقلع البارجة الاَّ في اول ابريل سنة ١٧٨٨ فسافر عليها الى الارض الجديدة لحفارة صيادي الحوت ولم يحدث لهُ ما يستحق الذكر في هذه الرحلة غير نقص المؤونة . فقد بلغ مقدار ما كان ينالهُ من الغذاء في اليوم اربع اواق من البسكوت وزجاجة ماء آسن . وما كاد يصل الى ميناء برست حتى شخص الى باريس ودرس على الاستاذين سابتير Sabatier ودسولت Desault الجراحة الاكليڤية وتوه بفضل الاخير عليهِ في نجاحهِ واتفق وهو في باريس ان اكتنفهُ جو العام المدني بالثورة ونشبت معارك هائلة بين الثوار والحكومة في حديقة تويلري والباستيل وفي ساحة مارس اسفرت عن عدد ليس بقليل من الجرحى كانوا من نصيب لاري في اسعافهم ومداواتهم . وقد لحظ ان التأجيل في اجراء عملية البتر يضعف المجال لمكروب الكزاز فيرسخ قدمهُ في العضو المعطوب ولا يلبث ان يدس سمهُ الهالك في الجسد كلهِ وتظهر اعراضهُ عليهِ . ودرس في خلال ذلك طرق العدوى ونكروز العظم

وعلى أثر حرب الثورة تحركت قوات الدول المجاورة واعلنت الحرب على فرنسا فعين لاري جراحاً اولاً في جيش الرين وكان ذلك الجيش بقيادة المرشال لوكنر . ولما وقف على طرق معاملة الجرحى انكرها فان المارشال كان يقضي يوماً او اسابيع قبل ان يحصل على الاسعافات الاولية ولم يكن ينقل الى المستشفى ليعتنى بهِ الاَّ بعد ان يدب النغن الى جرحهِ وتبدو عليهِ علامات التغفرينا وكان معظم الجرحى يموتون متأثرين من جروحهم لعدم اسعافهم في حال اصابتهم . فاقترح

لاري على الجنرال كوستين انشاء نقالة لمداواة الجرحى في خطوط القتال ولقي اقتراحهُ الاستحسان كما مرَّ

وبعد حرب الرين دعي الى باريس وعهد اليهِ في انشاء النقالة وتعميمها في جيش الجمهورية كلهِ وزار بعد ذلك اسبانيا ودرس الاعمال الصحية في جيشها ثم امرهُ بونبارت ان يذهب الى ايطاليا ويفتش النقالة في الجيش الايطالي وما كاد يبلغ مركز اركان الحرب حتى اعلن الصلح وعقد في كمبوفورميو . ثم انضم الى الحملة التي جردها نبوليون على مصر واجتاز البحر الاحمر في صحبة ذلك القائد العظيم ونال منهُ في مصر الاكرام ولم يخف اعجابهُ بعقدريتهِ ونشاطهِ عن احد ولما عقد صلح اميان ورجع لاري الى باريس وجد ان الفصل الاول لم يكتفِ باذاعة فضلهِ والتنويه بجلائل اعمالهِ وخدماتهِ في رسالة امر برتيار Berthier ان ينشرها بل صادق على ترقية الاطباء الذين ذكرهم لاري في تقريرهِ وطلب ترقيتهم واصدر امرهُ بتعيينهِ رئيس الجراحين في جيش الحرس واهدى الى عقيلتهِ الفاً وخمسمائة فرنك . وكان نبوليون قد بلغ اوج مجدهِ فانعم عليهِ بوسام الشرف وعينهُ عضواً في جوقة الشرفاء ثم مفتشاً للجيش الفرنسوي . وبعد معركة ايلو Eylou رقي الى رئيس مجلس الشرفاء وانعم عليهِ بوسام الفارس والتاج الحديدي. وبعد معركة وجرام Wagram الشهيرة منح لقب بارون الامبراطورية ومعاش تقاعد قدرهُ خمسة آلاف فرنك في السنة

وفي عودة الامبراطور من ألبا الى العرش طلب صديقهُ لاري وعهد اليهِ في تنظيم الاعمال الطبية في الجيش وان يتولى بنفسهِ اعمال النقالة واوصاهُ ان يكون قريباً منهُ في معركة واترلو الشهيرة التي وقعت سنة ١٨١٥ وكان يجهل ذلك القائد النابغة مصيرهُ في تلك المعركة بل كان يحسبها كسابقاتها لابد ان يعقد لهُ النصر في ختامها كما تجلى امامهُ في بدئها ولكن طاش سهمهُ هذه المرة وحدث ما لم يكن في حسابهِ كما هو معروف ولما تحقق ان النصر افلت من يدهِ وانتقل الى يد خصومهِ وشاهد فرسان الجيش البريطاني تقترب من محل النقالة او المستشفى المتنقل تذكر صديقهُ لاري فارسل اليهِ فارساً من حرسهِ وامرهُ ان ينجو بنفسهِ ولكن البروسيين ادركوهُ واسروهُ في سامبر وقيل انهُ لو لم يقع عن ظهر جوادهِ لما كان

وقع في الاسر . وبعد ان طالت جذوة تلك المعركة سمح لهُ بالعودة الى فرنسا ولكن بسقوط نبوليون عن العرش سنة ١٨١٥ ابى من مقامهِ الرفيع وقاسى من معاملة البربون الاهوال ولم يبقوا لهُ غير مركزهِ في جيش الحرس لتعلق هذا الجيش بهِ وودادهُ ملك البلجيك فانشأ في جيشهِ النقالة وانتقل من البلجيك الى ايطاليا فلندن وعهدت اليهِ حكومة فرنسا في تفتيش المستشفيات في الجيرا ورفع تقريراً عنها . وفي قيامهِ بهذه المأمورية ابدى من البراعة في تنظيم العمل فيها وتنسيقهِ على نمط لا غضاضة فيهِ اليوم . وفي عودتهِ من افريقيا الى باريس ادركتهُ المنية في مدينة ليون في ٢٥ يوليو سنة ١٨٤٢ فمات مأسوفاً عليهِ من الامة الفرنسوية التي قدرتهُ قدرهُ ومن الجيش الذي ذكر خدماتهِ ومن الفن الذي قدر فضلهُ وجهادهُ في تقدمهِ وتأييد مقاصدهِ النبيلة

الدكتور شخاشيري

مناجاة الارواح

حديث مع السر اوليفر لدج

قابل بعضهم السر اوليفر لدج العالم الطبيعي المشهور وحادثهُ في امر السبرتزم او مناجاة ارواح الموتى ونشر الحديث في مجلة الستراند الانكليزية فلخصناهُ عنها بما يلي

قال المحدث للسر اوليفر طلب مني ان اسألك عما وصل اليهِ السبرتزم الآن

فاجابهُ اني لا استحسن هذا الاسم الاَّ اذا اريد بهِ معنًى فلسفيٌّ اما اصحاب السبرتزم الذين يعدُّون انفسهم طريقةً دينية فلا علاقة لي بهم ولو كان بينهم كثيرون من الفضلاء

المحدث — لا شبهة ان للسبرتزم معنًى علميًّا كما انهُ معنى ديني

لدج — نعم ومعناهُ العلمي يطلق عليهِ الآن اسم البحث النفسي وقد كان من نتائجهِ الاستدلال على ان العقل يمكن تجردهُ عن الجسد وانهُ يمكن ان تقام الادلة العلمية على انهُ يبقى بعد موت الجسد

المحدث — ان كان الامر كذلك فهو على غاية الاهمية